خطاب الهزيمة العبرية

انتقادات بالجملة لنتنياهو وسياساته وتحليلات ديموغرافية واجتماعية حول إمكانية التعايش مع عرب 1948 تغزو الصحافة والإعلام الصهيوني.

جدال حاد واتهامات متبادلة بين المحلل العسكري والاستراتيجي الصهيوني الشهير بن كاسبيت ومقدم البرنامج وينون ماجال المعروف بولائه لنتنياهو على أثير إذاعة 103FM، وصل إلى حد الشتائم بحق الفلسطينيين على الهواء مباشرة، وقد اعتبر بن كاسبيت أن نتنياهو "مذنب"، وتهمته هي خدمة الفلسطينيين. معتبرًا أنه كان ثمة "تحذيرات أمنية طويلة الأمد بأن القدس ستشعل غزة، وأن حماس ستريد التفجير لأنه ليس هناك انتخابات فلسطينية بسببنا"، وإذا كان نتنياهو يريد طمأنة وكسب اليهود في حي الشيخ الجراح، فقد "كان هناك أكثر من ألف طريقة لذلك" والنتيجة هي أنهم ليس فقط لم يهدأوا، بل تمّ إشعال الجبهة. من جهته ماجال ردّ على بن كاسبيت: "ألا تمل من حقيقة أنك تبحث عن نتنياهو مذنب طوال الوقت، ألا تبدو مفرطًا ومجنونًا؟ ألا تتعب من هذا الخطاب؟ كفى بالفعل، هل تفهم أين أنت؟ هل تفهم الوضع الاستراتيجي الذي تعيشه إسرائيل؟ من كان آخر من وصل إلى جبل الهيكل، لماذا لا يصعد اليهود إلى الحرم القدسي؟ أنت خادم للعرب. عندما تتحدث هكذا، عليك أن تخجل".

هذا التخبط الذي يعيشه الصهاينة فيما أن ينبغي أن يكون من واقع الإسرائيليين هو في الواقع شعور عام لدى كافة الأجهزة بالإهانة والاستهزاء من قدرة الصهاينة على ضبط الوضع، "الآن لم يعد هناك خيار سوى ضرب حماس بشدة" يقول عاموس جلعاد الرئيس السابق للطاقم السياسي والأمني فيما يسمى وزارة الدفاع، ويضيف: "لأن هذا ليس مجرّد استفزاز للاسرائيليين بل يتطلّب ردًا". يعرف جلعاد جيدًا أنهم إذا ردوا فهم في ورطة، وإذا لم يردوا فهم في ورطة أكبر، معتبرًا أن "إسرائيل على المستوى السياسي لا تعمل". وأن ما حصل "سيلقي بظلال الشك على إمكانية تحقيق السلام مع تجاهل القضية الفلسطينية". "حماس أصبحت قوة جبارة تملي علينا ما نفعل"، هذا ما انتهي إليه جلعاد.

تزداد تساؤلات الكتاب الصحفيين والأكاديميين في مقالاتهم كلما تقدم الوقت واستمر الفلسطينيون في انتفاضتهم، "هل من الممكن وقف الانجراف؟"، فبعد كل شيء، تدخل حماس كقائدة للأحداث "تنذر وتضرب القدس، وهذا يظهر الترابط والتقارب بين الساحات الفلسطينية وأن حماس هي التي تحدد نغمة الشارع الفلسطيني". ديفيد كورين، باحث في

معهد القدس للاستراتيجية والأمن يقول في مقال نشره في صحيفة "إسرائيل هيوم": "يبدو أنه في مواجهة الروابط التي أنشأها الفلسطينيون، يجب أيضًا عرض الترابط بين الأجهزة الإسرائيلية على مستوى النظام السياسي - الأمني والنظام البلدي. إن تزامن وتنسيق أوثق الأجهزة الأمنية والمدنية، مع التركيز على الجهود الإعلامية، التي يبدو أن اليد العليا للجانب الفلسطيني فيها، ستكون قادرة على إدارة أفضل".

مسؤول سابق في الموساد د ميشكا بن دافيد كتب في صحيفة يديعوت أحرنوت، يقول "يجب على المرء أن يعترف بالواقع ويفهم أن الاغتراب الذي لم يتغير خلال 73 عامًا من الدولة لن يختفي". فيما تحدّث وزير الدفاع الأسبق أفيغدور ليبرمان في إطار يوم بثّ خاص من استديو يديعوت كوميونيكيشنز عن "خسارة الردع أمام حماس". "لا يجب أن تشعر حماس بأنها انتصرت" هو ملخّص النقاش الحالي في الأوساط الصهيونية الإعلامية.

ثمة متغيّر حاصل في الإعلام بل في المجتمع الإسرائيلي عمومًا، وهي أن صناع الرأي العام والمؤثرين فيه، من مسؤولين ورؤساء موساد سابقين ورؤساء أركان، وبعد عقود طويلة من التهديد والوعيد والخطاب المتفوق، أصبح حاضرًا لديهم خطاب الانهزام، بل أكثر من ذلك، كان يوفال ديسكين، الرئيس السابق لجهاز الأمن الإسرائيلي العام "الشاباك" قد صرح بأن "إسرائيل لن تبقى للجيل القادم"، وكان نتنياهو قد حذّر في "عيد العرش" وهو عيد ديني، من "مخاطر وجودية" مؤكّدًا أنّ "وجودنا ليس بديهيًا".

إنه خطاب الزوال بدأ يتبلور. إسرائيل سقطت، وإن بدا أنها تقاتل.